اسم الدرس : سورة الطارق

تصنيف الدرس : خطبة

(سورة الطارق)

خطبة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم– بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلاة وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

أما بعد،

أحبتي في الله من رحمة الله –عز وجل– بالخلق أنه لم يتركهم سدى، ولكن أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب حتى يكونوا على بينة من أمرهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بهذه الآيات البينات التي أنزلها الله –عزوجل– على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، اصطفى هذه الأمة وجعل نبيها خاتم الأنبياء وأفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، واصطفى لها القرآن، وجعل القرآن مهيمنًا على الكتب السابقة، فاللهم لك الحمد على هذه النعمة العظيمة، ومعنا اليوم سورة من كتاب الله –عز وجل– نتدبر ما فيها من المعاني، ونتخلق بأخلاقها، ونجاهد أنفسنا لتتشرب هذه المعاني.

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم وهو يُقْسِم سبحانه وتعالى ويقول: (والسماء والطارق* وما أدراك ما الطارق* النجم الثاقب* إن كل نفس لما عليها حافظ) [الطارق ١-٤]

تأتي هذه السورة العظيمة –سورة الطارق– في القرآن في الترتيب الذي معنا بعد سورة البروج، ويقول الله –عز وجل– في ختام سورة البروج: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) [البروج ٢١]، في سورة البروج بيَّن الله –عز وجل– أن أهل الباطل يغضبون وينقمون ويكونون في شدة الغيظ من أهل الإيمان، فلا يكتفون بهذا الغيظ، بل يحاربونهم ويقتلونهم ويحرقونهم من شدة الغيظ الذي ملأ قلوبهم (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد *الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) [البروج ٨-٩].

يبيِّن الله –عز وجل– أن أهل الباطل دائمًا لا يكتفون بهذا الغيظ بل يقتلون وينتقمون ويحرقون أهل الإيمان، في هذه اللحظات تقل أعداد أهل الإيمان، فيخافون على ما معهم من الحق، إن أهل الإيمان

وهو يُقتَلون، وهم يُحرَقون، وهم يُشرَّدون، أكثر ما يشغلهم في هذه الأوقات هو ما في صدورهم من الحق، هو ما في صدورهم من الوحي، لا يخافون على أنفسهم ولكن يخافون على هذا الدين، فيطمئنهم الله –عز وجل– في ختام السورة، التي مُلِئت بالقتل وبالتحريق يقول لهم: اطمئنوا على هذا الوحي، وأيضا يهدد المشركين ويعلمهم أنكم مهما فعلتم في أهل الإيمان من قتل وتحريق وإبادة فإن هذا الدين محفوظ، لأن القرآن هو أصل هذا الدين، والقرآن محفوظ بحفظه –سبحانه وتعالى– هو الحفيظ، فيختم الله –عز وجل– سورة البروج بقوله (بل هو قرآن مجيد) [البروج ٢١]، المجد الحقيقي للقرآن ولأهل هذا القرآن، يرفعهم الله –عز وجل– في الدنيا والآخرة، فيُطَمئِن الله أهل الإيمان أن القرآن محفوظ، ويهدد الله أهل الكفر أن القرآن محفوظ، لن تنجحوا ولن تفلحوا أبدًا في حربكم ضد الإيمان، فيقول الله عز وجل: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) [البروج ٢١]، لن تصلوا إليه ولن تستطيعوا تغييره ولا تبديله ولا تحريفه (في لوح محفوظ) [البروج ٢٢].

ثم يُقْسِم في السورة التي تليها على صفة الحفظ له –سبحانه وتعالى– فهو قال عن نفسه –سبحانه وتعالى– أنه حافظ على كل نفس: (إن كل نفس لما عليها حافظ) إما بنفسه –سبحانه وتعالى– أو بالملائكة التي أرسلها سبحانه وتعالى، فيقول الله عز وجل: (والسماء والطارق* وما أدراك ما الطارق) [الطارق ١-٢] يقسم الله بالسماء باتساعها، ثم يقول: والطارق، والطارق غالبًا يكون ليلاً –يطرق الأبواب ليلاً– يُقسم الله –عز وجل– بالسماء في مشهد مهيب مظلم انتشر الظلام في السماء كلها على اتساعها، ثم يُقسم الله –عز وجل– على هذا الحدث الذي يحدث في هذا الظلام وهو الطارق.

ما هو الطارق يا رب؟

(وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) [الطارق ٣] في وسط هذا الظلام يُقَدِّرُ الله –عز وجل– وجود هذا النجم الثاقب، قيل: الثاقب هو المضيء، وقيل: الثاقب الذي يحرق الشياطين التي تريد أن تسترق السمع وتريد أن تنصت إلى القرآن، تريد أن تسترق سماع الوحي، فيُقسم الله –عز وجل– أنه مهما انتشر الظلام لا بد من ظهور ضوء فيه، فيقسم بظهور النجم الثاقب المضيء في وسط هذا الظلام، ومهما فعل أهل الباطل من قتل لأهل الحق سيقدِّر الله –عز وجل– وجود أناس يكونون كالنجم المضيء للناس، فكما أن الناس على الأرض يهتدون بالنجوم كما قال ربنا: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) [النحل ١٦]، كذلك يهتدي الناس بأهل الحق العالمين العاملين بدين الله عز وجل، الذين وافق عملهم علمهم، هؤلاء يضيئون للناس في وسط الظلام، مهما انتشر الظلام يكونون كالنجم الثاقب المضيء، وأيضا يحرقون الشياطين الذين يريدون أن يسترِقوا السمع عن الوحي، ويريدون أن يحرفوا أو يبدلوا كلام الله عز وجل.

يقسم الله –عز وجل– كما أنه قدّر نجومًا تضيء في وسط هذه السماء المظلمة، وكما قدَّر نجومًا تحرق الشياطين وتحفظ السماء على اتساعها، كذلك جعل الله –عز وجل– حفظة على كل نفس، وكذلك قدَّر الله عز وجل حفظ هذا الدين فاطمئنوا ولا تخافوا، وكأن الله عز وجل يُطَمئِنُنا على رحلة نزول الوحي، فهو في لوح محفوظ عند الله، وأثناء النزول محفوظ من استراق الشياطين، وبعد النزول محفوظ في الصدور، كما قال في السورة التي تليها في سورة الأعلى: (سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ) [الاعلى ٦]، يُطَمئِننا الله –عز وجل– بحفظ الوحي في لوح محفوظ، وينزل محفوظًا، ويُحفظ في صدر نبينا صلى الله عليه وسلم، هذه الرحلة المحفوظة بأمر الله –عز وجل– حينما يسمعها المؤمن يطمئن على الوحي، يطمئن على الحق، حتى لو أوذي هو في سبيل الله –عز وجل– فهو يخاف على الدين لا على نفسه، فبعد قراءة هذه السور الثلاثة المتتاليات يطمئن أهل الإيمان بعد أن يوقنوا أنهم سيُحارَبون ويُقاتَلون ويُقتَلون ولكنه يزداد اطمئنانًا على دين الله عز وجل.

فيُقسم الله عز وجل: (وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ) [الطارق ١-٢] ما هو الطارق؟

(ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ) [الطارق ٣]، قيل: المضيء، وقيل: الذي يحرق الشياطين، كما قال ربنا –سبحانه وتعالى– في سورة الصافات: (إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ) [الصافات ١٠] شهاب يحرق الشياطين التي تريد أن تسترق السمع. ويقول الله –عز وجل– بعد هذا القسم: (ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ* إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ) [الطارق ٣-٤] لم يقل الله عز وجل: إن كل نفس لها (لها) حافظ..

لو قال الله سبحانه وتعالى: إن كل نفس لما (لها) أي يحفظها من كل سوء، ولكن قال تعالى: (إن كل نفس لما عليها حافظ)، (على): أي رقابة، أي أنَّ كل نفس مراقبة، كل عمل يفعله الإنسان بل كل همٍّ، قال الله –عز وجل– في الحديث القدسي كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا همّ العبد بالحسنة.... وإذا همّ العبد بالسيئة)[1] حتى الهمُّ الذي يهمُّه الإنسان يعلمه الله –عز وجل– وتكتبه الملائكة، (إذا همَّ العبد بالحسنة فلم يعملها كُتِبت حسنة واحدة، فإذا عملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات، وإذا همَّ العبد بالسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة واحدة، وإذا هم العبد بالسيئة وعملها كتبها الله عز وجل سيئة واحدة، إذًا حتى الهمُّ يُكتَب للإنسان)[2]: (إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ) [الطارق ٤] الله أكبر! كيف يُحفَظ هؤلاء الملايين من البشر؟! وكيف تُحفَظ السماء

[1] عن ابي هريرة قال الله تبارك و تعالى: اذا هم عبدي بالحسنة فلم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها لم عشر حسنات وان هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها واحدة (ابن حبان ٣٥٤ هـ، صحيح ابن حبان ٣٨٣ اخرجه في صحيحه.

[2] نفس تخريج الحديث الاول

باتساعها؟! إنها قدرة الله –عز وجل– المطلقة الذي لا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى: ﴿... وَما يَعزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصغَرَ مِن ذلِكَ وَلا أَكبَرَ إِلّا فِي كِتابٍ مُبينٍ﴾[يونس: ٦١]

(وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) [الانعام ٥٩] سبحانه وتعالى.

(يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) [سبأ ٢] سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، عليم بما في الصدور سبحانه وتعالى.

(إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ) [الطارق ٤] إذًا الإنسان مراقَب، أعداء الدين الذين يحاربون الدين، ويمكرون بالليل والنهار ولا يَطَّلِع أحد من أهل الإيمان على مكرهم، الله –عز وجل– مُطَّلِع عليهم، الله –عز وجل– يعلم ما في صدورهم، الله –عز وجل– مُطَّلِع على مكرهم وعلى كيدهم، يُطَمئِنُنا الله –عز وجل– بذلك ويُطَمئِننا أيضًا أن هؤلاء المجرمين إذا لم يُنتَقَم منهم في الدنيا فإن الله –عز وجل– يدَّخِر لهم العذاب الأليم في الآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم) [ابراهيم ٤٢] وكأن الأصل في عقابهم التأخير (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار *مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) [ابراهيم ٤٢-٤٣]

فيقول الله عز وجل: (إن كل نفس لما عليها حافظ) [الطارق ٤]

وأيضا يُطَمئِن أهل الإيمان أن ما تفعلونه من خير لن يضيع أبدًا، حتى الهمُّ الذي تهتمُّونه لأمر هذا الدين لن يضيع أبدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يغزُ ولم تحدثه نفسه بالغزو) [٣] مُجَرَّد أن تُحَدِّث نفسك بالعمل لهذا الدين يعلمه الله –عز وجل– ويكتبه في ميزان حسناتك، (من لم يغزُ أو تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق) [٤] والعياذ بالله، "إن كل نفس لما عليها حافظ" [الطارق ٤]

ثم يقول الله –عز وجل– حتى يكون الكلام تهديدًا ووعيدًا للكفار المجرمين الذين يحاربون هذا الدين وطمأنة لأهل الدين: (فلينظر الإنسان مم خلق) [الطارق ٥] هؤلاء بشر، هؤلاء من نطفة، هؤلاء من ماء دافق، هذه الحقيقة التي لا بد أن يَعِيَها ويَعلَمَها جيدًا أهل الإيمان، هذه الحقيقة التي هي من أول الحقائق التي ذُكِرَت في القرآن: (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق) [العلق ١-٢] في سورة العلق يقول الله –عز وجل– قبل أن يخبر الله –عز وجل– نبيه أن هناك من سيمنعك عن الصلاة: (أرأيت الذي ينهى* عبدا إذا صلى) [العلق ٩-١٠] أن هناك أناسًا سيمنعونك ليس فقط حتى من

[٣] عن ابي هريرة: من مات و لم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق. مسلم ٢٦١ هـ صحيح مسلم ١٩١٠ صحيح
[٤] سبق تخريجه

الدعوة بل سيحاربونك حتى في صلاتك (كلا لا تطعه واسجد) [العلق ١٩] يريدون أن يمنعوك حتى من السجود، هؤلاء مهما بلغت قُوَّتُهم ومهما زادت عدتهم هم مجرد علق.

(فلينظر الإنسان مم خلق* خُلق من ماء دافق) [الطارق ٥-٦]: أَنَّى لِمَاءٍ دافقٍ أن يُحارِب رب السماوات والأرض؟! أنَّى لِماءٍ دافق أن يقف أمام هذا الدين الذي ينصره الله عز وجل؟! رب السماوات والأرض -سبحانه وتعالى- الذي يحفظ كل نفس ويحفظ السماء باتساعها فسيحفظ هذا الدين قطعًا بقدرته -سبحانه وتعالى- وبحفظه سبحانه وتعالى.

فيقول الله -عز وجل- آمرًا الناس أن يَتَدَبَّروا في أصل خلقتهم فيقول: (فلينظر الإنسان) كل الناس (مم خُلِق) [الطارق ٥]، خُلِق من ماذا؟! ثم يُجِيب القرآن حتى لا يتركك ولا تنسى هذه الإجابة ولا تتناساها ولا تتغافل عنها، فيقول الله عز وجل: (خلق من ماء دافق) [الطارق ٦] ماء مدفوق، يخرج متدفقًا وكأنه لا يتمالك! لا يملك نفسه! هذا الإنسان الضعيف الذي خُلِق من سائل متدفق، من ماء مَهين، كيف يحارب الله عز وجل؟!

بَصَقَ النبي -صلى الله عليه وسلم- في يده بصقة ثم قال: يقول الله عز وجل: (يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟!!!) [٥] خلق الله عز وجل الإنسان من نطفة، فإذا -هذه إذا الفجائية- فإذا هو خصيم مبين! يخاصم الله عز وجل بعد أن كان نطفة، بعد أن كان من ماء دافق، (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) [الكهف ٣٧] بعدما جعلك بني آدم تكفر به وبنعمه؟! (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا* لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) [الكهف ٣٧-٣٨]

(فلينظر الإنسان مم خلق* خلق من ماء دافق* يخرج من بين الصلب والترائب) [الطارق ٥-٧] قيل: صلب الرجل وترائب المرأة، قيل: كناية عن ماء الرجل وماء المرأة أو مكان حفظ الإنسان أو مكان أصل الدم لخروج المني، أيًّا كان هذا مكان ضعف، يخرج من بين الصلب والترائب.

تخيل هذه قصة خلق الإنسان سريعًا: ماء يخرج سريعًا متدفقا ثم يتجمع في رحم المرأة فينزل الإنسان، هذا الإنسان بعد أن مرَّ بهذه المراحل الضعيفة يخرج ويحارب الله عز وجل ويحارب دين الله عز وجل!

ثم يقول الله عز وجل بعد ذلك: (إنه على رجعه لقادر) [الطارق ٨]

[٥] [عن بسر بن جحاش القرشي] يقول الله: يا ادم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردتين وللارض منك وئيد-يعني شكوى- فجمعت ومنعت، حتى اذا بلغت التراقي قلت: اتصدق، وانى اوان الصدقة؟!
الالباني ١٤٣٠هـ السلسلة الصحيحة ١١٤٣ اسناده صحيح

سوف يُعيد الإنسان مرة أخرى إلى الحياة، لم يذكر –الله عز وجل– أن الإنسان مات، يقول الله عز وجل: (فلينظر الإنسان مم خلق* خلق من ماء دافق يخرج) [الطارق ٥-٦]للحياة (من بين الصلب والترائب) [الطارق ٧] ثم قال الله عز وجل: (إنه على رجعه لقادر) [الطارق ٨] لأن الموت أمرٌ حتميٌّ لا يُذكَر، أمرٌ حتميٌّ سَيَقَع، رَضِيَ الإنسان أم غضب، شاء الإنسان أم أبى، سيموت الإنسان على الرغم منه، سيموت الإنسان قطعًا شاء أم أبى، هذه القضية لم تُذكَر في تسلسل الإنسان، بل ذُكِر في البعث لأن الموت لا يُنكَر، ولكنهم يُنكِرون البعث، فقال الله عز وجل: (إِنَّهُ) [الطارق ٨] بصيغة التأكيد الملك سبحانه وتعالى (عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) [الطارق ٨] يؤكد الله عز وجل أنه قادر على إرجاع الإنسان مرة أخرى، على أن يبعثه مرة أخرى ليُحاسَب على كل شيء تم حفظه (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) [الطارق ٤].

يُحاسَب الإنسان على كل عمل، يُحاسَب الإنسان على نظرته، على الكلمة التي سمعها، (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفًا)[٦]

يُحاسَب على الكلمة، يُحاسَب على النظرة، يُحاسَب على الهمِّ الذي عقد عليه العزم، يُحاسَب الإنسان على هذه الأشياء.

"إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ" [الطارق ٨-٩] الله أكبر! اللهم استرنا يا رب! يأتي يومٌ تنكشف فيه السرائر، هذا الكون مليء بأسرار الناس.

السرائر: إما الشيء الذي فعله الإنسان بعيدًا عن نظر الناس إليه، أي: استتر منهم، عَمِل عملاً لكنه كان مُتَخفِّيًا، ككيد الكافرين وكمكر المجرمين الذين يخططون ليل نهار ويدبرون ليل نهار لهدم هذا الدين، يعملون هذه الأعمال في السر، وكأنهم يظنون أن الله عز وجل غير مطلع عليهم، هذه الأفعال تُفعَل في السرائر. أو السرائر: ما أسره الإنسان في نفسه ولم يُطْلِع أحدًا عليه أبدًا؛ سرٌّ بداخله، شهوة بداخله، غضب من أهل الدين بداخله، أيًّا كان الشيء الذي بداخله. هذا السر هو ذات الصدور، الذي بداخله ينكشف أمام الناس.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يُنصَب لكل غادر لواء يوم القيامة" علامة، راية، عَلَم. "يُنصب لكل غادر عند إسْتِهِ لواء يوم القيامة مكتوب عليه هذه غدرة فلان" [٧]والعياذ بالله. كل غادر، كل مجرم، كل

[٦] [عن ابو هريرة]: ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن ان تبلغ ما بلغت يهوي بها سبعين خريفا في النار
الالباني ١٤٣٠ هـ، صحيح الترغيب ٢٨٧٦، حسن صحيح

[٧] [عن عبدالله بن مسعود] لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان

من غدر، أعطى العهود والعقود وغدر، ينصب له لواء عند إسْتِهِ، فضيحة وزيادة في الخزي والعار مكتوب عليه حتى يظهر أمام الناس: هذه غدرة فلان. "يوم تبلى السرائر" [الطارق ٩] حينها تنكشف السرائر ويُحاسَب ويُختَبر الإنسان على هذه السرائر، كل عمل عمله الإنسان بعيدًا عن نظر الناس واختبأ بعيدًا عن الناس، وفكر ودبر وخطط، "بل مكر الليل والنهار" [سبأ ٣٣]. بعيدًا عن نظر الناس، أو ما أسرُّوه في أنفسهم، يظهر يوم القيامة. اللهم استرنا يارب!

المؤمن يُدنيه الله عز وجل منه ويضع عليه كنفه، ثم يقرره بذنوبه ويقول له: أتذكر يوم كذا؟ يوم فعلت كذا؟ فيقول: أي رب أذكر! أتذكر يوم كذا؟ يوم فعلت كذا؟ فيقول: أي رب نعم، أي رب فعلت. فيستره الله عز وجل ويقول له: سترتك في الدنيا وأنا أسترك اليوم وأغفرها لك اليوم. [٨]اللهم استرنا!

أما الفاجر والمنافق والكافر فيُنادى على رؤوس الخلائق، ويُفضَح على رؤوس الخلائق والعياذ بالله.

"يوم تبلى السرائر" [الطارق ٩] حينها يُفتَضح الإنسان، هؤلاء المجرمون الذين قتَّلوا وحرقوا أهل الإيمان في سورة البروج، وخططوا ودبروا ومكروا وأسروا السرائر لهدم هذا الدين، بعد أن يفضحهم الله عز وجل يقول لهم الله عز وجل: "فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ" [الطارق ١٠] أين قُوَّتكم؟ أين جمعكم؟ "هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا" أين هم الآن؟ حينما يفتضحون يوم القيامة من سينفعهم؟ "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" [المدثر ٤٨].

يظهرون على حقيقتهم فيقول الله عز وجل: "فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ" [الطارق ١٠] أي: داخلية، "وَلا نَاصِرٍ" [الطارق ١٠] من خارجه. ليس عنده قوة يُدافع بها عن نفسه، وليس له ناصر ينصره. الشفعاء والشركاء الذين كانت الشركة بينهم على المصالح الدنيوية اتخذوا أصنامهم وأوثانهم مودة بينهم، اتخذوا قضايا تجمع مصالحهم، يوم القيامة يتبرؤون من بعضهم البعض، ويلعن بعضهم بعضًا، يكفر بعضهم ببعض يوم القيامة، ويلعن بعضهم بعضًا، وينادي بعضهم على بعض؛ حتى ينقذوا بعضهم البعض ولا يلتفت أحدٌ لأحدٍ. "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" [عبس ٣٧]. فيقول الله عز وجل: "فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ" [الطارق ١٠].

ذلك الإنسان الضعيف الذي "خُلق من ماء دافق" [الطارق ٧] يُبيِّن الله عز وجل أن الله عز وجل قادر على خلقه، قادر على إماتته، قادر على بعثه، قادر على حفظ أعماله عليه.

مسلم ٢٦١ هـ، صحيح مسلم ١٧٣٦ صحيح

[٨] ان الله يدني المؤمن فيضع كنفه عليه و يستره فيقول: اتعرف ذنب كذا نعم اي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورائ في نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم

ابن تيمية ٧٢٨ هجرية، تلبيس الجهمية ٨\٢٠٠ صحيح

بعد كل هذا هل ما يزال بعض الناس مُصِرًّا على حرب دين الله عز وجل؟! بعد أن بَيَّن الله عز وجل له هذه القضايا، وأن الله على كل شيء شهيد، وأنه أهلك مَن قبله مِن القرون مَن هو أشد منه قوة؟! "هل أتاك حديث الجنود" [البروج ١٧]. أصبحوا حديثًا بعد أن كانوا واقعًا صخبًا يضربون في الأرض، أصبحوا حديثًا يتحدث الناس به "هل أتاك حديث الجنود *فرعون وثمود* بل الذين كفروا في تكذيب *والله من ورائهم محيط"[البروج ١٧-٢٠] الله عز وجل قادر عليهم، الله عز وجل قادر على حفظ هذا الدين، الله عز وجل قادر على حفظ أعمالهم، الله عز وجل قادر على بعثهم مرة أخرى، وسيحاسب الإنسان على كل شيء، على النقير والقطمير، بل يحاسب حتى على السرائر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم..

يخبرنا الله عز وجل في هذه السورة العظيمة عن معانٍ تهم الإنسان المسلم الذي يخاف على هذا الدين، ولا ينتفع الإنسان بالقرآن إلا إذا احتاج إليه، فمثلاً: إذا ذهبْتَ إلى مريض وقلت له: لا بأس طهور إن شاء الله ودعوت له بالشفاء، يتأثر المريض جدًّا بهذه الكلمات؛ لأنه يحتاج إليها، يحتاج أن يسمعها، لكن: إنسان لا يشعر بالمرض، حتى لو كان مريضًا لكنه لا يشعر بالمرض، لا تؤثر فيه هذه الكلمات.

كذلك الذي يعمل لهذا الدين يحتاج إلى القرآن، يحتاج إلى أن يسمع هذه الكلمات. الذي يحتاج إلى أن ينجو يوم القيامة، الذي يخاف من البعث، الذي يخاف من يوم القيامة، يخاف من النار، ويحب أن يدخل الجنة، يحتاج إلى سماع القرآن فيتأثر، حينما احتاج آدم -عليه السلام- إلى الكلمات ظل ينتظرها، وحين ألقاها الله إليه تلقَّاها بكل شوق، "فتلقى آدم من ربه كلمات" [البقرة ٣٧] لأنه كان يحتاج إليها فأثرت فيه، فيتأثر الإنسان بالقرآن على قدر احتياجه إليه؛ لذلك كان نبينا -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة،[٩] فتؤثِّر الصلاة؛ لأنه كان يحتاج إليها، عندما تحتاج أن تصلي وتذهب إلى الصلاة؛ تؤثر الصلاة فيك تأثيرًا جمًّا، لذلك: الشاب الذي يريد أن يدفع عنه الشهوات، الشاب الذي لم يتزوج فيصوم، يؤثر الصيام فيه؛ لأنه يحتاج إلى الصيام، لذلك أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يصوم إذا لم يستطع الزواج عليه بالصوم.[١٠]

[٩] [عن حذيفة بن اليمان:] كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا حزبه امر ، فزع الى الصلاة
شعيب الارنؤوط (١٤٣٨ هجري) تخريج زاد المعاد ٤١٣٠٤ صحيح

[١٠] عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على فتية من قريش شباب فقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الطول فلينكح او ليتزوج والا فعليه بالصوم فانه له وجاء
الهيثمي (٨٠٧ هجري) مجمع الروائد ٢٥٥١٤ رجاله ثقات

إذًا هذه الكلمات في سورة البروج، أو في سورة الطارق، أو في سورة الأعلى، حينما نزلت على أهل الإيمان في أوقات الاستضعاف، في أوقات التعذيب، كانوا يحتاجون لسماعها، وتأثروا بها، واطمأنت قلوبهم، وازداد يقينهم، واستمروا على العمل فانقلبوا بنعمة من الله عز وجل وفضل، ازداد يقينهم، وقاموا ينصرون دين الله عز وجل، حتى بعد أن مسَّهم القرح.

هذه الآيات تنزل على قلب المؤمن تزيده إيمانًا، تزيده يقينًا وثباتًا، مهما رأى من غدر ومكر وكيد أهل الباطل، هذه الآيات تُعلِّم المؤمن أنه ليس وحيدًا، أن الله عز وجل معه، أن خالق السماوات والأرض، حافظ السماء، الذي يحفظ الأعمال، وهو على كل شيء قدير؛ فيطمئن المؤمن، ويعلم أن هذا الدين منصور حتمًا، حتى لو أُوذي، أو قُتل، ولكنه يموت وهو مطمئن على الدين، وأنه سينتشر حتمًا، حتى لو قُتِل أغلب أهل الإيمان.

ثم يقسم الله عز وجل قسمًا آخر ويقول: "والسماء ذات الرجع *والأرض ذات الصدع* إنه لقول فصل" [الطارق ١١-١٣]

دائما يُقسِم الله بالآيات الكونية على الآيات المعنوية، فكما أن الله عز وجل حفظ السماء من كل الشياطين في أول السورة فقد حفظ الوحي أيضًا، ثم يُقسِم الله قَسَمًا آخر: "والسماء ذات الرجع" [الطارق ١١] أي المطر الذي ينزل من السماء إلى الأرض ثم يتبخر ويرجع مرة أخرى، هذه الدورة المائية التي لا تنتهي إلي يوم القيامة والتي لو قُطِعت لهلك الناس، "والسماء ذات الرجع" أي والسماء ذات المطر.

"والأرض ذات الصدع" [الطارق ١٢] ينزل الماء من السماء تتصدع الأرض "أنا صببنا الماء صبًا ثم شققنا ".. الله عز وجل أنزل الماء وشق الأرض.

"أنا صببنا الماء صبًا" والصب كثافة الماء الذي ينزل، الخير الذي ينزله الله عظيم "أنا صببنا الماء صبًا* ثم شققنا الأرض شقًا* فأنبتنا" [عبس ٢٥-٢٧] الله أنزل الماء، الله شق الأرض، الله أنبت النبات، فيُقسِم الله: "والسماء ذات الرجع" [الطارق ١١] أي المطر، "والأرض ذات الصدع" [الطارق ١٢] أي الأرض التي تتصدع وتُخرِج ما فيها من خيرات، وتُخرج ما فيها من ثمار فينعم الإنسان وتستمر حياته. لولا هذه الدورة الكونية، دورة الماء وخروج الثمرة، لهلك الناس.

بهذا المشهد المهيب الجميل يقسم الله على ماذا؟

يقسم الله أن القرآن حق "إنه لقول فصل" [الطارق ١٣]، أي: القرآن قولٌ فصل، جاء ليَفصِل في التنازعات بين الناس، جاء ليَفصِل بين الحق والباطل، جاء ليَفصِل بين الخالق والمخلوق، جاء فاصلاً بين المتشابهات.

القرآن قول فصل بين الكافر والمؤمن، بين الكفر والإيمان، جاء فرقانًا واضحًا فاصلاً.

جاء ليفصل بين الناس ليكونوا فريقين: "فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير" [الشورى ٧].

إذًا جاء القرآن قولاً فصلاً يفصل بين الناس ولابد أن نعود إليه ليفصل بيننا... مَن الكافر ومَن المؤمن؟

ما هي صفات المؤمنين؟ وما هي صفات الكافرين، صفات المنافقين، صفات الفُجَّار، صفات الفاسقين؟

هذه الآيات الفصل نزلت في القرآن حتى لا يُحرِّفها أحد، ولا يتَأَوَّل أحد ويتألَّى على الله سبحانه وتعالى، فيقول الله عز وجل: "إنه لقولٌ فصل" [الطارق ١٣].

لكن ما علاقة نزول المطر من السماء وخروج الثمرة من الأرض بنزول القرآن هذا القول الفصل؟

يُقسِم الله عز وجل كما أنه أنزل الماء من السماء فأخرج الثمرات والأزهار من الأرض بهذا الماء، كذلك أنزل القرآن على قلوب أهل الإيمان، وأخرج عبوديات وطاعات لم تكن لتخرج إلا بنزول القرآن. فقال الله في آخر سورة البروج إن القرآن محفوظ، وبما أن القرآن محفوظ أي أن مصدر الخيرات ومصدر الطاعات الذي يُخرج العبوديات من أهل الإيمان محفوظ، فمهما فعل أهل الباطل من قتل وتعذيب وتشريد وحبس لأهل الإيمان يظل القرآن محفوظًا، وينزل القرآن متجددًا على أهل الإيمان ليُخرج منهم أبطالاً ويُخرج عبوديات لم تكن لتخرج إلا بنزول القرآن على قلوبهم فينتفضون نُصرةً لدين ربهم.

ينزل القرآن فصلاً بين الناس على قلوب أهل الإيمان فيعملون لهذا الدين، فيخرج جيلٌ جديد ينصر الدين، ثم يُحارب ويُقتل ويُعذب فينزل القرآن على قلوب آخرين فينتفض جيل جديد، وهكذا لا تزال طائفة من أُمَّة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة على الحق مهما عاندها الناس ومهما حاربها الناس لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، فكما أن هذه الدورة المائية سبب حفظ حياة الناس، فهذه الدورة القرآنية سبب لحفظ دين الناس.

فيقسم الله عز وجل: "إنه لقولٌ فصل * وما هو بالهزل" [الطارق ١٣-١٤] الأمر ليس لعبًا، الأمر ليس قولاً هزيلاً لكنه قولٌ ثقيل، أنزله الله عز وجل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليس قولاً هزيلاً.

"وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدُنّا إن كنا فاعلين* بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (يصيب دماغه) فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون" [الانبياء ١٦-١٨]

"إنه لقولٌ فصل* وما هو بالهزل"[الطارق ١٣-١٤]

ثم يأتي الختام ليؤكد الله عز وجل على استمرار المعركة بين الحق والباطل إلى أن تقوم الساعة؛ يؤكد الله عز وجل لنا: " إنهم يكيدون كيداً" [الطارق ١٥] إنهم يستمرون في الكيد بعد أن استمعوا إلى آيات البروج وآيات الطارق، لم تؤثر فيهم الآيات "وأصروا واستكبروا استكبارا" [نوح ٧] أصروا على حرب هذا الدين، فيقول الله عز وجل بصيغة المضارع: "إنهم يكيدون" [الطارق ١٥] مستمرون كيدًا عظيمًا يخططون ويمكرون ليل نهار: "إنهم يكيدون كيدًا" [الطارق ١٥] لكن اطمئنوا يا أهل الإيمان: "وأكيد كيدًا" [الطارق ١٦]، أكد الله لنا كيدهم ولم يؤكد لنا كيده بهم فقال الله: "إنهم يكيدون كيداً"، ولم يقل: (وإنِّي)، ولكنه قال: "وأكيد" [الطارق ١٦] نحن لا نحتاج إلى تأكيد أن الله معنا.

إنَّ الله عز وجل ينصر هذا الدين حتمًا، بل إن الله يؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر! فقال: "إنهم يكيدون كيداً* وأكيد كيداً"[الطارق ١٥-١٦] وأنَّى لكيد الماء الدافق أن يقف أمام كيد رب السماوات والأرض سبحانه وتعالى!!

"وأكيد كيدًا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا" [الطارق ١٦-١٧] قيل: انتظر حتى يأتي وعد الله، وقيل: "فمهل الكافرين أمهلهم رويدا" [الطارق ١٧] أي: أعِدَّ العدة حتى إذا استطعت أن تحاربهم واكتملت لك الأسباب فباشر قتالهم، لا بد أن يُعِدَّ المؤمنون العُدة لقتال الكفار، قال الله عز وجل: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" [الانفال ٦٠]

هذه الآيات جاءت بعد نصر، "وأعدوا لهم" [الانفال ٦٠] جاءت في سورة الأنفال بعد أن انتصر المؤمنون في غزوة بدر، هل ينام المؤمنون عن القتال؟ أبدًا.

فقال الله عز وجل: " وأعدوا" [الانفال ٦٠] استمروا في العدة، استمروا في البذل لنصرة هذا الدين، المؤمن لا يتوقف أبداً عن نُصرة هذا الدين إلى أن يموت، حتى يسمعَ كلَّ من في الأرض يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الله في ختام السورة: "إنهم يكيدون كيداً* وأكيد كيداً* فمهل الكافرين" [الطارق ١٥-١٧] أي: اضغط على نفسك واصبر وصبِّر المؤمنين ومهلهم وتمهل لهم وانتظر، ثم قال: "أمهلهم رويدًا" [الطارق ١٧] أي: حينما تصبر يقترب موعدهم ثم يأتي وقت قريب وتنتصر عليهم، وبالفعل انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر.

كما قال الله عز وجل: "سيُهزَم الجمع ويُولون الدُبُر" [القمر ٤٥]، قالها الله لهم لما قالوا: "أم يقولون نحن جميع منتصر" [القمر ٤٤]، لما قالوا: سنجتمع مع بعضنا لنهدم هذا الدين "أم يقولون نحن جميع منتصر" [القمر ٤٤] فأخبر الله عز وجل أن تَجَمُّعَهُم من علامة هزيمتهم: " سيُهزم الجمع ويولون الدبر" [القمر ٤٥]

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل القرآن العاملين به والمجاهدين به، الذين يعملون لنصرة دينه..

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا..

اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك..

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك..

اللهم اهدِنا واهدِ بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى..

اللهم ارفع الفتن عن مصر يا رب العالمين وعن سائر بلاد المسلمين..

اللهم اجعل مصر بلدًا آمنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين..

اللهم قيِّض لهذا البلد أمر رشدٍ يُعزُّ فيه أهل طاعتك ويهدى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ويحكم فيه بكتابك..

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا..

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.